Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سَمَوْنَا إلى المَهْدِيِّ قَصْداً وإنّما
قطَعْنا بها أمْواجَ بَحْرٍ إلى بَحْرِ

فهو يصف ركوبه السفينة ، وكيف أن ريح الصبا الهينة كانت تسوقها سوقاً ليّناً خفيفاً ، فتجري مسرعةً ثم لا تلبث أن تتهادى على وجه الماء ، وكيف أن الحيتان كانت تطيف بها ، والناس فوقها خائفون مذعورون ، وهو جالس بينهم ، وبجانبه صاحباه ووصيفه .

وظاهرٌ أنه وازنَ بين السفينة والناقة ، وأنه استمد ألفاظه من « معجم أوصاف الإبل والنعام » . فقد ردَّدَ أن السفينة لا تتكوَّن مما تتكوَّنُ منه الناقة ، ولا تسير فيما تسير فيه ، ولا تتألم ولا تتعب ، وإنما تتألف من ألواح لا لحمَ عليها ، ولا دمَ فيها ، وتجري في وسط النهر . وشاكلَ أيضاً بين زمام الناقة الذي تُقادُ به ، وبين دفّة السفينة التي تُرْشَدُ بها . وشبَّهَ سيرها الهادىء ، والصوت المنبعث من ارتطام الماء بجوانبها باندفاع ذكر النعام في أول حركته . ومع ذلك فإن الآمدي أعجِبَ بهذه الأبيات ، وأثنى عليها ، وقرر أنَّ وصف بشار للسفينة فيها هو الجيد النادر (٣٤) .

وصفوة القول في تصوير بشار للسفينة وللرحلة النهرية أنه تصوير يقوم على نَسْخ الألفاظ التي توصَفُ بها الإبل والخيل ، ويعتمد على الصور البدوية . أما السفينة فإنه لم يستطع — مع كثرة جهوده الأموية والعباسية ، وتعاهد محاولات سابقيه ومعاصريه من الشعراء — أن يضَعَ لها ألفاظاً يصح أن تُنْعَتَ بها نعتاً حقيقياً ، لا مجازياً. فقد جعل همَّهُ أن يستعير أوصاف الخيل والإبل ، كما أعاد وأبدأ في معانٍ محدودة . وكرَّر ألفاظاً وتراكيبَ معدودة .

على أنَّ وَصْفَ أبي الشيص للسفينة وللرحلة النهرية أعرق بداوة ، وأشد

(٣٤) الموازنة ٢ : ٣٠٩ .